

تاج العروس من جواهر القاموس

قال ابنُ دُرُسْتَوَيْهٍ : اِحْتَجَّ بهما أئمةُ اللُّغةِ على اختصاصِ الادِّلاجِ بسَيْرِ آخرِ الليلِ . انتهى . فبينَ الإدلاجِ والادِّلاجِ العُمُومُ والخُصُوصُ من وَجْهٍ يَشْتَرِكَانِ في مُطْلَاقِ سَيْرِ اللَّيْلِ وَيَنْفَرِدُ الإدلاجُ المَخْفَفُ بالسَّيْرِ في أَوَّلِهِ وَيَنْفَرِدُ الادِّلاجُ المَشْدَدُ وبالسَّيْرِ في آخِرِهِ . وعند بعضهم أَنَّ الإدلاجَ المَخْفَفَ أعمُّ من المَشْدَدِ فمعنى المَخْفَفِ عندهم سَيْرُ اللَّيْلِ كُلِّهِ ومعنى المَشْدَدِ السَّيْرُ في آخِرِهِ وعليه فَيَذْنِبُهُمَا العُمُومُ المُطْلَاقُ إِذْ كُلُّ إدلاجٍ بالتخفيفِ ادِّلاجٌ بالتشديدِ ولا عَكْسَ وعلى هذا اقتصرَ الزُّبَيْدِيُّ في مُختصرِ العَيْنِ والقاضي عياضٌ في المشارِقِ وغيرُهما المصنِّفَ ذَهَبَ إلى ما جرى عليه ثعلبٌ في الفصحِ وغيرُهُ من أئمةِ اللُّغةِ وجعلوه من تحقيقاتِ أسرارِ العربِ . وقال بعضهم : الإدلاجُ : سَيْرُ اللَّيْلِ كُلِّهِ والاسمُ منه الدِّلَجَةُ بالضمِّ . وقال ابنُ سيده : الدِّلَجَةُ بالفتح والإِسكان : سَيْرُ السَّحَرِ والدِّلَجَةُ أَيضاً : سَيْرُ اللَّيْلِ كُلِّهِ والدِّلَجَةُ بالفتح والضمُّ مع إِسكان اللامِ والدِّلَجُ والدِّلَجَةُ بالفتح والتحريكُ فيهما : الساعةُ من آخرِ الليلِ وأَدْلَجُوا : سَارُوا مِنْ آخِرِهِ وَأَدْلَجُوا : سَارُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ . وقيل : الدِّلَجُ : اللَّيْلُ كُلُّهُ من أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ حكاة ثعلبٌ عن أَبِي سُلَيْمَانَ الْأَعْرَابِيِّ . وقال : أَيَّ سَاعَةٍ سِرَّتَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إلى آخِرِهِ فَقَدْ أَدْلَجَتْ عَلَى مِثَالِ أَخْرَجَتْ . وَأَنْكَرَ ابْنُ دُرُسْتَوَيْهِ التَّفَرُّقَةَ مِنْ أَصْلِهِمَا وزعمَ أَنَّ معنَاهما معاً سَيْرُ اللَّيْلِ مُطْلَقاً دونَ تخصيصٍ بأَوَّلِهِ أو آخِرِهِ وَغَلَطَ ثَعْلَبٌ في تَخْصِيصِهِ الْمُخَفَّفَ بِأَوَّلِ اللَّيْلِ والمَشْدَدَ بِآخِرِهِ وقال : بل هُمَا جَمِيعاً عندنا سَيْرُ اللَّيْلِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ أَوَّلِهِ وَوَسَطِهِ وَآخِرِهِ وَهُوَ إِفْعَالٌ وَافْتِعَالٌ مِنَ الدِّلَجِ والدِّلَجُ : سَيْرُ اللَّيْلِ بِمَنْزِلَةِ السُّرَى وَلَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ هَذَيْنِ الْمِثَالَيْنِ بِدَلِيلٍ عَلَى شِدْءٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَلَوْ كَانَ الْمِثَالُ دَلِيلًا عَلَى الْوَقْتِ لَكَانَ قَوْلُ الْقَائِلِ الاسْتَدْلَاجُ عَلَى الْاسْتِفْعَالِ دَلِيلًا أَيضاً لِوَقْتِ آخَرَ وَكَانَ الْإِنْدِلاجُ لَوْ قَتِ آخَرَ وَهَذَا كُلُّهُ فَاسِدٌ . وَلَكِنَّ الْأَمْثِلَةَ عِنْدَ جَمْعِهِمْ مَوْضُوعَةٌ لِاخْتِلَافِ مَعَانِي الْأَفْعَالِ فِي أَنْفُسِنَا لَا لِاخْتِلَافِ أَوْقَاتِهَا . قال : فَأَمَّا وَسَطُ اللَّيْلِ وَآخِرُهُ وَأَوَّلُهُ وَسَحَرُهُ وَقَبْلُ النَّوْمِ وَبَعْدَهُ فَمِمَّا لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَفْعَالُ وَلَا مَصَادِرُهَا وَلِذَلِكَ احْتِجَّ الْأَعْشَى إِلَى اشْتِرَاطِهِ بَعْدَ الْمَهَامِ وَزُهِدِ السَّحَرِ إِلَى سَحَرِهِ

وهذا بمنزلة قولهم : الإِبْكَارُ والابْتِكَارُ والتَّكْبِيرُ والبُكُورُ في أَزَّه كُلاَّه
العملُ بِكْرَةً ولا يَتَغَيَّرُ الوقتُ بتَغْيِيرِ هذه الأَمْثَلَةِ وإن اِخْتَفَلَتْ
مَعَانِيهَا واحتجَّاهُمْ ببيتِ الأَعشى وزُهِيرٍ وَهَمٌ وَغَلَطٌ وإنَّما كلُّ واحدٍ من
الشاعرين وَصَفَ ما فَعَلَّاه دونَ ما فَعَلَّاه غيرُهُ ولولا أَنَّهُ يكونُ بِسُحْرَةٍ
وبِغَيْرِ سُحْرَةٍ لما احتجَّ إلى ذِكْرِ سُحْرَةٍ فَإِنَّه إِذَا كان الادِّسُ لاجُ بِسُحْرَةٍ
وبِعَدِّ المَذَامِ فقد استغنى عن تقييده قال : ومما يُوَضِّحُ فَسَادَ تَأْوِيلِهِم أَنَّ
العَرَبَ تُسَمِّي القُنْفُذَ مُدْلاجاً لِأَنَّهُ يَدْرُجُ باللَّيْلِ وَيَتَرَدَّدُ فيه لا
لأنَّه لا يَدْرُجُ إِلَّا في أَوَّلِ الليلِ أَوْ في وَسْطِهِ أَوْ في آخِرِهِ أَوْ في كُلاَّه
ولكنَّه يَظْهَرُ باللَّيْلِ في أَيِّ أَوْقاتِهِ احتجَّ إلى الدُّرُوجِ لِطَلَبِ عِلَافٍ
أَوْ ماءٍ أَوْ غيرِ ذلك قال شيخُنا قال أبو جعفر اللَّيْلُ في شَرْحِ نظمِ الفصيحِ :
هذا كلامُ ابنِ دُرُسْتَوَيْهٍ في رَدِّ كَلَامِ ثَعْلَبٍ وَمَنْ وافقَه من اللُّغَوِيِّينَ .
قلت وَأَنشَدُوا لِعَلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .
" اصْبِرْ عَلَي السَّيْرِ والإِدْلاجِ فِي السَّحَرِ وفي الرَّوَّاحِ عَلَي الحاجاتِ
والبُكَرِ فجَعَلَ الإِدْلاجَ فِي السَّحَرِ وَيُنْظَرُ هذا مع قولِ المُصَنِّفِ : الإِدْلاجُ
في أَوَّلِ اللَّيْلِ : وأَما قولُ الشَّامِّاخِ :
وتَشْكُو بَعِيدِينَ مَما أَكَلَّ رِكابَها ... وقيلَ المُنادِي : أَصْبَحَ القَوْمُ
أَدْلَجِي